

طه حسين يطل «من الشاطئ الآخر»

كتابات مجهولة ودراسات بالفرنسية لعميد الأدب العربي



كاتب ألغى المسافات بين الشرق والغرب

إضافة إلى إسهاماته بالأساتذة الأجانب الذين أوكل لهم أمر التدريس مع بداية فتح الجامعة المصرية، كجودي ونالينو وستلانا. علاوة على الدروس التي تركها هؤلاء الأساتذة في نفوس الطلاب، كالتواضع الذي أرساه جودي، أو إدراك الصلات التي تربط التراث الفلسفي الإسلامي بالثقافة والفكر اليونانيين كما فعل دافيد ستلانا. وتعلمهم تاريخ الأدب وكيفية تقييم الأسلوب والتصنيف إلى مدرسة أدبية على نحو ما فعل نالينو. فقد أنشأ هؤلاء الثلاثة بداية من 1908 جيلا تحركه روح جديدة. وفي هذا يظهر جانب مهم من شخصية طه حسين، حيث حرصه وهو يخاطب الغربيين على استقلال مصر، وإسهامه بدورها الحضاري

التحرر من الإصلاحيين والليبراليين على العقائدية الجامدة والطغيان السياسي، إلا أن هذا لا يعني أن ثمة قطيعة بين الحدادثة والإسلام، بل كان هناك احتجاج على التعصب. ومن أقسام الكتاب ما جاء تحت باب البيانات والتصريحات، وهي كلمات ألفت في مناسبات عارضة لتحقيق أعراض عارضة، كما تبرز موقفه من القضايا العالمية الكبرى، ورأيه في العلاقات بين الشرق والغرب وثقافة البحر المتوسط. فثقافة البحر المتوسط كما رآها طه حسين كانت حوارا وتفاعلا عريق الجدور بين مجموعة من الثقافات، وبخاصة بين ثقافتين رئيسيتين متمازجتين إحداهما في مصر بينما تركزت الأخرى في أوروبا.

استمرار ذلك الماضي الذي يسعى العرب إلى صونه لكي يواجهوا المستقبل واثنين مستشربين. فيتحدث عن الإصلاح الديني الذي تبناه جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده، حيث كانت ترمي حركتهما الإصلاحية إلى إخراج الفكر الإسلامي من أسر نزعة المحافظة العقيم التي أصابته بالجمود منذ عهد السيطرة التركية. أما الإصلاح الاجتماعي، فقد تبناه قاسم أمين وكان الغرض منه تحرير المرأة المسلمة وأن ترد إليها الحرية التي كانت تتمتع بها في الماضي. لكن المؤسف أن هذين المفكرين الجسورين سرعان ما اتهمتا بانهما يناهضان التحرر الوطني، ووصمت إصلاحاتهما بأنها بدع خطيرة. ويرى أنه على الرغم من حركات

وكانها امتداد لازمة الشعر الجاهلي، أو تطبيق لها. ودراسته عن ضمير الغائب بمثابة التطبيق القوي لهذا الرأي الذي جهر به، ونال ما نال من عقاب وتكدير، فقد لاحظ أن القاعدة النحوية الخاصة بضمائر الغائب لا تنطبق على كثير من آيات القرآن. فالقاعدة تنص على أن ضمير الغائب يجب أن يتقدمه اسم مذكور صراحة أو ضمنا ويطلبه من حيث العدد والجنس. غير أن هناك آيات عديدة يرد فيها الضمير دون أن يتقدمه مرجع أو دون أن يكون المرجع مطابقا للضمير من حيث العدد أو الجنس، وفي مثل هذه الحالات يلجأ النحويون إلى التقدير والتأويل ويتكفون. وقد ارتأى طه حسين بعد إحصاء لآيات أن الضمير في مثل هذه الحالات يؤدي على نحو أو آخر وظيفة اسم الإشارة، وقد صنف هذه الحالات في تسع فئات. وكان طه حسين في نظريته يؤكد أن القرآن هو المرجع الأساسي في كل بحث لغوي أو تقني نحوي. لكن لم تمر هذه الدراسة مرور الكرام فقد نكث جراحا لم تكن قد اندملت عند خصومه، فوقفوا له بالمرصاد. وصلت إلى إنداز رئيس الحكومة بالا بدع يسافر حتى يؤلف لجنة تستوفى من أنه لن يعرض الدين للخطر أمام المستشرقين في أكسفورد.

مع المتنبي

في هذه الكتابات عاد طه حسين إلى المتنبي مرة ثانية بعد أن أفرد له كتابا مهما بعنوان "مع المتنبي"، وقد خصه بمقالة بعنوان "مسيرة الشاعر الكبرى" لم يكتف فيها بتتبع سيرته كما فعل سابقا، بل ألغى نظرة إجمالية يحدد فيها أهمية المتنبي في تاريخ الأدب العربي والوعي القومي، ويبرز القيم الباقية في شعره. فهو رمز لسلخ الشعوب العربية وأمالها، وإمام لأبي العلاء وكل أصحاب التشاؤم الفلسفي في المشرق والمغرب. وتكاد تكون هذه المقالة تلخيصا موجزا قدمه للغرب عن حياة الشاعر الذي "ملأ الدنيا، وشغل الناس".

وتطرق في إحدى دراساته إلى دراسة "الكاتب في المجتمع المعاصر" يتناول فيها على نحو منظم وفي خطوات منطقية مرتبة وضع الكاتب في المجتمع المعاصر من مختلف الزوايا. أما مقالته عن "الاتجاهات الأدبية في الأدب العربي المعاصر" فتعتبر كما يقول المترجم النص الوحيد الذي ألفه طه حسين في تفسير وتقييم ظاهرة الكتابات الدينية التي شاعت في الثلاثينات، وهو يتصدى لمسألة شغلت وما زالت تشغل الباحثين في الشرق والغرب، وهي تتعلق بما إذا كانت عودة أعلام الحدادثة إلى التراث الديني ليس مرذوبا موقف المحافظة، بل هي انتصار للكفاح من أجل حرية الفكر ومن أجل

كان الكاتب المصري طه حسين من أكثر المفكرين والكتاب إثارة للجدل في عصره لما أثاره من قضايا فكرية تسائل التراث وتضعه على محك النقد والتساؤل. ولم يتوقف الجدل عند حدود الثقافة العربية، بل قدم الكاتب آراء ومواقفه الشجاعة التي تنتصر للحدادثة العربية في الغرب من خلال كتاباته الفرنسية.

حارس الإمام والفزاعة التي كان يطلقها لوجهه أي طالب عنيد. وكتب عن مختار وفنه الذي وصفه بأنه كان يحدث ثورة خاصة به، ويشيد بدور مختار الذي جعل الفن مباحا ونشطا يلقي التشجيع من السلطات، وعن صديقه أندريه جيد، وعلاقته به وكتاباتاته وزيارته لمصر أيضا. وكذلك عن علاقته باونجاريتي الإيطالي الذي تعرف إليه في البندقية، وهاله ما استرعاه من الجانب النبوي لديه.

كما كتب عن علاقة غوته بالشرق، وإن كان استعرض فيها حياة غوته العريضة التي عاشها كما أراد، وعن الأزمات التي واجهها وكذلك الصعوبات والألام، وعن ولعه بالشرق منذ أن درس العريضة وتعلمها. ويرى طه حسين أن دراسة غوته لنص العهد القديم قد أتاح له أن يكون لنفسه فكرة عن بدء الحضارة ونمو الحياة الاجتماعية والسياسية، وأن يشكل من ثم نزعة الإنسانية في صورتها الأولى، كما امتد تأثيرها على خياله. ويبقى لغوته أنه أول عبقرى أوروبي، حاول أن يقيم بين الشرق والغرب شيئا من الألفة الوطيدة. وقد نجح في إلغاء المسافات والفوارق، وفي تحقيق الوحدة الكاملة للفكر البشري.

ويتطرق طه حسين في مقالته إلى بدايات الأدب المسرحي في مصر، ولتوفيق الحكيم الذي يصفه بالفيلسوف الشاب، وإن كان حديثه ومظهره لا يوحيان بذلك، ويثني على مخطوطاته التي قدم بها من فرنسا؛ أهل الكهف، وعودة الروح، وشهزاد، وإن كان يرى أنه كتب هذه المسرحيات التي تآثر فيها بما شاهده في مسارح فرنسا للقراءة وليست للعرض، فكان أولى به أن يبسطها.

تأتي هذه الكتابات بمثابة تطوير لمواقفه وآرائه وتثير منها كما يقول المترجم تطرق موضوعات جديدة، وإضافة هامة إلى تراثه. كما أن هذه المقالات تتيح للباحثين فرصة التعرف على جوانب غير مألوفة من فكره، كما تكشف في بعض

منها معارك طه حسين التي أشعلها بكتاباتاته. فلم تتوقف آراء طه حسين في إثارة العقليات المتجمدة عند كتابته في الشعر الجاهلي، بل واصل طه حسين تحريك المياه الراكة، بالدعوة إلى البحث والتفكير لا الحفظ والتلقين، خاصة في مقالته عن "استخدام ضمير الغائب في القرآن كاسم إشارة" وهي الدراسة التي قدمها طه حسين إلى مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في أكسفورد سنة 1928،



محمد فرّاج النابيسي
كاتب مصري

كان للصدفة الدور الأكبر في اكتشاف الكثير من النصوص التي كتبها الدكتور طه حسين بالفرنسية، فيحكي المترجم عبدالرشيد الصادق الحمودي، الذي قدم للمكتبة العربية الكثير من أعمال طه حسين بالفرنسية؛ أنه وقع بالمصادفة في طبعة نقدية جميلة لرواية أندريه جيد "السيمفونية الريفية" على إشارة إلى مقالة لطه حسين بالفرنسية ترجمها بـ"هبة الحديث والصدقة". كانت هذه المقالة بداية رحلة تبرز بين السعادة والشقاء؛ رحلة قدريّة لأن يكون مترجم طه حسين إلى العربية، خاصة بعد ما وجد الدليل في ما كتبه الباحث التونسي مفتاح طهر بالفرنسية عن "طه حسين: نقده ومصادره بالفرنسية".

مقالات تبرز موقف طه حسين من القضايا العالمية ورأيه في العلاقات بين الشرق والغرب وثقافة البحر المتوسط

يتقسم الكتاب الصادر في طبعة جديدة عن المركز القومي للترجمة بعنوان "من الشاطئ الآخر: طه حسين، كتابات طه حسين الفرنسية" 2019، ترجمة عبدالرشيد الصادق محمودي، إلى ستة أقسام تجمع بين الدراسات والرسائل واللقاءات والكلمات، التي كان يليقها طه حسين في مناسبات ثقافية عامة، وكذلك المحاضرات العامة، وأيضا بعض الخواطر التي استرسل فيها طه حسين وقدم آراءه في اعلام عصره كالشيخ الجليل محمد عبده، فجاءت كتاباته مغايرة عما كتبه عنه في الأيام وفي الصيف، هنا توقف عند منهج الإمام - الذي كان سيد الأزهريون منازع - في التعليم.

في مرآة طه حسين

تناول طه حسين إسهام الإمام محمد عبده بالتقويم، فرأى أنه كان يمقت الثورات والانتقالات المتخمة وأي عمل يتصف بالعنف، في حين لم يكن أقل كرها لجمود الفكر والتوقف الذي هو أفسه بالتقهقر، فادخل في الأزهري بعض المواد التي توظف الفكر وتوسّع من آفاقه ولكن دون أن تفتح أبوابه للشك. كما ينتقد القيود التي تفرض على درسه، بسبب

سبارتاكوس تأه في خياله

خياله اللامحدود في خدمة الأسئلة التي تلقى: الموت والحياة، الحب والجنس، قربي الكائنات الحية بعضها لبعض، إلى جانب قرابتها كلها للجغرافيا، يرشد في ذلك صديق سري يدعى زمهرير. خلال الانهماك في عبور محيطات الأفكار، ومواجهة عواصف من الأسئلة، يبدأ سبارتاكوس ببناء تصوّره الخاص عن رحلة الإنسان في هذا العالم، لكنه قبل الوصول إلى إجابات شافية تتشعب حرب ويكون أولى ضحاياها، كما لو أن خياله وطلقاته هدف أساسي من أهدافها. ينسج من كان، وماذا أراد، وتقلب أحلامه وخیالاته إلى كوابيس، في البقطة والمنام، ما يأخذه في رحلة مضادة للرحلة التي قضى عمره في مسارها. "عام الجليد" رواية رمزية تمتاز فيها عوالم فانتازية وفلسفية في قالب كحائي. وقد صدرت الرواية هذه الأيام عن منشورات المتوسط بإيطاليا.

ميلانو (إيطاليا) - تدور أحداث الرواية الأولى للشاعر والصحافي الفلسطيني السوري رائد وحش، بعنوان "عام الجليد" حول شخصية سبارتاكوس، الفتى القروي الحالم، الذي وجد نفسه منذ طفولته يعيش في تخيالاته الخاصة، وعلى خلاف البشر الذين تنتزع التجارب والأيام شخصياتهم وأفكارهم، انصّب للتطور على خياله قبل أي شيء آخر، ما أوصله إلى درجة بات يعيش فيها تجربة الإنسان القديم في الغابات والكهوف بحثا عن القوت والامان، ومن ثم تجربة المغامر الذي تدميه رغبة الاكتشاف. ليصل إلى نوع من التآله حين يخال نفسه قادرا على الخلق. وبهذا الاشتغال الفني الفريد تحقّق «النحلة والغول»، وابتعثا وتبعث برسالتها ليس إلى فئة الشباب فحسب بل إلى العالم أجمع. وقد عرف مؤلفها كيف يقدم أفكاره بشكل فني مجرد من الخطابية والمباشرة التي قد يقع فيها بعض كتاب الرواية.

رواية لبنانية تدين العولمة وتساند ضحاياها

جرائم أميركا في حربها مع فيتنام من خلال التفاعل الذي رافق صورة «فتاة النابالم» على وسائل التواصل الاجتماعي، وهي الفتاة الفيتنامية فان في كيم فوكب ذات الأعمار التسعة، وهي تجري عارية تصرخ ألما والدموع تجري على خديها، وقد احترق ظهرها نتيجة قصف الطيران لقربتها بقنابل النابالم الحارقة. هذه العوالم الأربعة يدخلها الكاتب شبارو في شبكة من العلاقات الروائية يتداخل فيها الواقعي بالمتخيل، والمعيش بالافتراضي، وإن كان الأخير يستأثر بالحيز الأكبر في هذه الشبكة. وهو يوزع هذه العوالم برؤية واضحة تدين المجرم وتقف إلى جانب الضحية أيا كان جنسها ولونها ودينها. وبهذا الاشتغال الفني الفريد تحقّق «النحلة والغول»، وابتعثا وتبعث برسالتها ليس إلى فئة الشباب فحسب بل إلى العالم أجمع. وقد عرف مؤلفها كيف يقدم أفكاره بشكل فني مجرد من الخطابية والمباشرة التي قد يقع فيها بعض كتاب الرواية.

للنشر والتوزيع"، في مجال النشر والتوزيع والتسويق فضاء للتعبير عن حقوق النشر والملكية الفكرية.

الرواية انقسمت إلى أربعة عوالم تجمعها شبكة من العلاقات الروائية يتداخل فيها الواقعي بالمتخيل والمعيش بالافتراضي

بينما تتظاهر إحصائته إلى العالم الثالث في تركيزه على العلاقات الأسرية تربط بين شاهين أفندي ومي نادر الذين نجحا على الرغم من الفروق الطبقيّة التي تفصل بين عائلتيهما. وأما إحصائته إلى العالم الرابع فتتظاهر في كشفه السياسات الدولية المعولمة الباحثة عن السيطرة والربح على حساب البشر. وتأتي مقالة الدكتور مجدي سالم في الرواية لتكشف عن

وما ولدته من فوضى مرعبة اخترقت أكثر ما اخترقت عقول شبابنا وتلاعبت بسلوكهم.

في «النحلة والغول» ثمة عوالم مرجعية أربعة تحيل إليها الكاتب غسان شبارو بنسب مختلفة وهي: عالم الشباب والعلاقة مع وسائل التواصل الاجتماعي «الإنترنت»، وعالم معايير «النشر» و«حقوق الناشر»، وعالم العلاقات الأسرية والزوجية، وعالم تجار الحروب وضحاياها على مستوى العالم أجمع.

وتتظاهر إحصائته إلى العالم الأول من خلال شخصية الشاب «مراد»، الذي عانى من التنمر فوجد في ألعاب الفيديو الإلكترونية تعويضا عن العلاقات المباشرة مع الأهل والأصدقاء إلى أن اختبر الحقيقة المؤلمة بنفسه. وتتظاهر إحصائته إلى العالم الثاني من واقع مهنته في كونه كاتباً روائياً وناشراً فاتخذ من مسيرة دار «البصيرة

صدرت رواية «النحلة والغول» للكاتب اللبناني غسان شبارو في مرحلة شديدة التعقيد من السيطرة المباشرة للغرب على العالم الثالث إثر تشييد نمط من الخطاب الموجه صوب المجتمع العربي وخاصة فئة الشباب، بأسلوب استبغاني لعب وانتقائي وتعددي، يميّع الحدود بين الثقافة التقليدية «الرفيعة» والثقافة المعاصرة «الاستهلاكية»، ويقوم بإعادة إنتاجها وإخلاقها بشكل جديد للبرهنة على تفوقه.

والرواية، الصادرة عن دار ثقافة للنشر والتوزيع، هنا تستكشف هذا الخطاب وتكتشف عما يطوي عليه من تجانب وتناقض، وينصب اهتمامها الرئيس على تفكيك الوعي الزائف الذي شيده الغرب الرأسمالي - لعقود طويلة - عن التفوق الحضاري للغرب بواسطة جميعاته السرية التي تعمل في الخفاء والذي أكمل مسيرته اليوم مع ثورة الاتصالات

